الدكتورة : نجاح سلطان

المحاضرة 10: المستشرقون وتاريخ المؤسسات الدينية والتعليمية (القرويين- الزيتونة – المساجد)

تحتلّ المؤسسات الدينية والتعليمية مكانة مركزية في تاريخ الغرب الإسلامي، إذ شكّل مسجد القرويين وجامع الزيتونة ونظام المساجد والمدارس فضاءً علميًا ومعرفيًا أنتج العلماء والفقهاء والأدباء، وأسهم في حفظ المذهب المالكي وترسيخ الهوية الإسلامية لشعوب المنطقة.

لهذا، أصبحت القرويين والزيتونة والمساجد التقليدية في المغرب والأندلس والمغرب الأوسط مادة ثرية لدراسات المستشرقين، لكن بمنهجيات متباينة؛ فهناك دراسات علمية عالية الدقة، وأخرى لا تخلو من أحكام مسبقة.

1- أبرز المؤسسات الدينية في بلاد الغرب الإسلامي هي:

- ✓ مسجد جامع
- ✓ مدرسة مرتبطة بالمسجد
- ✓ الكتاتيب
- ✓ منصّة اجتماعية للفتوى والوعظ
- ✓ مؤسسة سياسية غير مباشرة
- ✓ مركز لتعليم العلوم الشرعية والعقلية

2- مميزات المؤسسة الدينية في الإسلام:

- ✓ الازدواجية في الوظيفة :عبادة + علم.
- ✓ منظومة الوقف :التي وفرت التمويل المالي المستقل.
- ✓ المجانية :إذ كان التعليم مجانيًا تقريبًا.
- ✓ الشرعية العلمية .
- ✓ التفاعل مع السلطة :لا استقلال تام ولا تبعية كاملة.
- ✓ علاقة وثيقة بالقضاء ودار الإمارة والطرق الصوفية.

3- جامع القرويين:

أسست فاطمة الفهرية مسجد القرويين سنة 245هـ / 859م. تطور المسجد ليصبح جامعة علمية كبرى في القرن 4–5هـ.

يوثّق عبد الهادي التازي في كتابه "جامع القرويين" تفاصيل دقيقة عن مراحل التوسع، عدد الأروقة، الكراسي التدريسية، المناهج، العلماء، والإصلاحات.

تشمل:

- ✓ الفقه المالكي
- ✓ الحديث
- ✓ التفسير
- ✓ النحو والصرف
- ✓ البلاغة
- ✓ المنطق
- ✓ علم الكلام
- ✓ العروض
- ✓ الحساب والفلك أحيانًا

موقف المستشرقين منه:

- اعتراف بدور القرويين في "نشر المعرفة قبل الجامعات الأوروبية" (بعض المستشرقين الإسبان).
- الإشادة بعلو كعب علماء المغرب.
- الإقرار بكون القرويين مؤسسة نضالية ضد الاستعمار.
- الادعاء أن التعليم "تقليدي جامد."

- الفصل بين المسجد والجامعة بمعايير أوروبية.
- التقليل من العلوم العقلية المدروسة فيها.
- الحكم على المناهج دون فهم طبيعتها الوظيفية.

1. جامع الزيتونة: عمل على تحصين الهوية العربية الإسلامية ومواجهة المشروع التعليمي الفرنسي ودور الزيتونة في الإصلاح الديني والقانوني وكان الزيتونة مركزًا معرفيًا عريقًا منذ القرن 2–3هـ ركزت مناهجه على العلوم الشرعية واللسانية والمنطق، وتخرج في علماء كبار مثل:
2. ابن خلدون
3. ابن عرفة
4. الطاهر بن عاشور

4- **نظرة المستشرقين له حيث لاحظوا:**

- قوة المناهج اللغوية
- صرامة التكوين الفقهي
- مركزية العلماء في المجتمع

لكن هناك من اتهم المؤسسة بـ:

- الركود
- تأخير التحديث
- مقاومة "العقل العلمي"

5- **أما المساجد** :كانت مدارس فعلية فتم توسيع شبكة المساجد وتكثير حلقات العلم. وبين القرنين 6–8هـ ظهرت مدارس داخل المساجد أو بجوارها، مثل:

- ✓ المدارس السعدية بفاس
- ✓ مدارس الحفصيين بتونس
- ✓ مدارس بجاية وتلمسان

وظيفه المسجد:

- ✓ إنتج القضاة
- ✓ ضبط المجتمع
- ✓ مواجهة الانحراف العقدي
- ✓ تكوين الإداريين